

الولادة والاجهاض في اعمال الفنان غسان غائب تلامس انساني

بقلم قيس عيسى

ان العمل الفني المبتكر والذي يتصف بالإبداع ، وحتى يخرج من دائرة التطور الصناعي يجب ان يتخلله الجانب الإنساني ضمن اصطلاح الولادة الانسانية وربما الاجهاض. يؤدي مقاربة أقوى لحياة الانسان الفسلجية والحسية.

وربما ما برر هذه القراءة هي استعارة اصطلاحي الولادة والاجهاض لقربهما من كينونة الانسان بصيروراته المختلفة من الشكلي الجسمي الى الذهني العقلي وتمرحلاته في التطور الفكري الحاصل لبني البشر .

اعمال الفنان غسان غائب تدخل ضمن هذين الاصطلاحين الا وهما (الولادة والاجهاض) في دلالتهم لتطور النوع الإنساني ، وهذا التطور حسي ذو مفاهيم معاصرة.

أي ان العمل يولد لذاته كائناً حسيّاً يؤدي جانباً من الممارسة الانسانية في الحياة ، ضمن اشتراطات معاصرة في التلقي والتأويل وايضاً بوصفه كائناً يحتمي بذاته خارج حدود التقنية سواء أكانت تقنية مستمدة من الفنون السابقة أم تقنية رقمية مستمدة من التفاعل الرقمي المعاصر، كون ان هذه التقنيات تبقية في منظومة الديمومة (بمعنى الثبات). وهذه الصفة خارج حدود اجساد غسان غائب.. هو يحاكيها عن بعد كونه يعيش في أزمنتها المختلفة وهي أيضاً ضاغطة ومؤثرة في ممارسات الفن المعاصر.

نلاحظ البناء الحسي لهذه الولادات يخرج بأشكال ومفاهيم جديدة في التراكم والتكرار والحركة والاندماج ، هذه اشتراطات معاصرة في هذا الجسد الجديد ضمن ولادته الجديدة ، الشكل خرج من التصميم وذاب في ممارسات حياتية أوسع من تواجج الرسم والنحت والتصميم، وأوسع من الممارسات الكرافيكية . التكوين لم يكن مغلقاً انفتح على الفضاء المجاور بوصفه شريك في البيئة سواء أكان رثاً أم غاية في الأناقة والجمال. هذه أيضاً صفة من صفات الولادة الانسانية أي انه كان يختار ولا يختار بيئاته المفترضة ، فهو ليس ديكوراً أو جزءاً من مكملات الاثاث أو لوحة تكتفي بحدود تواجدها المعرفي في حقل الفن وتعني الباحثين والمختصين .

كما ان اعمال الفنان غسان غائب تقترب من الاصطلاح الثاني هو الاجهاض كونها لا تعيش حياة دائمة بل انها تعيش حياة إنسان مدة زمنية قصيرة تنتشي فيها وتكابد أماكن وجودها في المشاغل وتستقر في كالري ثم تُفكك أوصالها فتموت .

هذه فكرة الحياة الانسانية التي تتصف بها اعمال الفنان غسان غائب .

وهذا الموت يعزز الذاكرة الذهنية للمتلقى بما ستخزنه من صور جديدة ومختلفة عن هذا الكائن المحدث ، الذي ترك اثراً فينا وتلمسنا مفاصله بكل أجزائه الخشنة والناعمة ، الحادة واللينه، حديد وقماش واسلاك واصباغ كلها توأزر بعضها لتعزيز الذاكرة بصور لن تزول عن ذلك الكائن الا وهو العمل الفني.

الولادة الجديدة لكائن يجاور الملامس الانسانية ويحقق اندثاره المادي ويبقي ديمومته الفكرية والبصرية الباحثة في تساؤل ازلي: ما هو السبيل في تحقيق الرقي الإنساني لبني البشر؟.

جملة قالها (سيزان) " أني أدينُ لكم بالحقيقة في الرسم واني لسوف أقولها لكم" عندما ألف (جاك دريدا) كتاباً بعنوان (الحقيقة في الرسم) كان يتساءل كيف نمخُ الرسم حق الكلام وهو فضاء الصمت بامتياز؟ بل وحق التنويه عن الحقيقة؟ ماذا يرغب (سيزان) بقوله عن الحقيقة؟ على حد توصيف (جاك دريدا) لن يبقى قول سيزان قولاً واحداً إنما سيكتب له أن يتكاثر الى ما لا نهاية. فما عاد البحث عن الحقيقة بالمعنى الافلاطوني في عالم آخر أو في فضاءات واهمة يسكنها خيال الفيلسوف أو مزاج فنان حالم وما عاد الفن جميلاً يريح النفس، بل أصبح مصدراً للحقيقة الصادمة التي من خلالها يبرز التمرد والرفض والتوتر والقسوة والخوف. لم يعد وجود للاستطقي الذي يشعنا باللذة في أعمال الفنان (غسان غائب) مكان. وإنما هناك حقائق صادمة تجابهنا باستمرار. حقائق تعلن عن نتائج آنية وترتحلُ الى أزمنتها المستقبلية (في اشارة الى تكاثر الخراب) كأنها مخاض عسير ينتج ولاداتٍ مشوهة. إن الرائع الذي يشكل فرادته في أعمال الفنان (غسان غائب) ما هو الا حقيقة سلبية لنمو الخراب ومنحه حياة و ديمومة العيش بيننا. نحن نساهم في منحه فرصة العيش لذا فهو يتكاثر. وهنا يرصد الفنان أشكال تكاثره عبر مادته المفترضة وعبر دلالاته الضامرة المتخفية خلف العمل الفني. فأصبحت أعمال الفنان (غسان غائب) تلامسُ أنساني تعيش حياة الانسان بمكابدات مختلفة. مرة مستندة الى الجدار أو ملقاة على الارض أو في الفضاء الخارجي كأنها بديل للانسان تحيا حياته ومماته.